

تقديم

في إطار وضع استراتيجية لإدماج القيم الإيجابية في النظام التربوي، تطرح عدة تساؤلات وإشكاليات في سبيل إيجاد الظروف الملائمة والدينامية التي من شأنها تحقيق تطور اجتماعي والتقدم بالمجتمع إلى ما هو أحسن. والسؤال المطروح في هذا المجال هو: هل ينبغي التفكير في إحياء القيم التقليدية فقط؟ وهل هي قادرة على تقوية المشاعر والسلوكيات المرتبطة بالمجتمع؟

إن القيم بدون شك، هي الزاد الأساسي للهوية الثقافية التي يتوفر عليها المجتمع عبر النظام التربوي. والحفاظ عليها والتفكير في كيفية تفعيلها بواسطة هذا النظام في مكوناته المنهجية وفي محتوياته. لأن الأسباب والدوافع التي أدت إلى الاهتمام بالقيم، كلها مرتبطة بهذه الظاهرة الناتجة عن أزمة القيم التي تخلخل المجتمع المعاصر. ويبدو من الملاحظة العابرة للسلوك المجتمعي، أن المجتمع المعاصر لم تعد له أية علاقة مع المجتمع الماضي في كثير من الجوانب من حيث العادات والتقاليد والمشاعر. وبالتالي التصرف المثالي الذي كان يتسم به المجتمع.

لقد أصبحت بنية المجتمع، على المستوى القيمي، في انحدار خطير، ينذر باختلال كل المظاهر الأخلاقية الإيجابية في المجتمع، وذلك باختفاء الفضائل التي كانت تولد الظروف لعلاقات إنسانية متكاملة ومتجانسة، تتمظهر بالخصوص في احترام الممتلكات الجماعية، وشعور راق للتعاون والاستقامة والشرف، أو بصفة عامة كل ما يشكل الآداب العامة والمشاعر الأخلاقية، والمكونات الدينامية التي تمثل الثوابت الأساسية لجودة الحياة الاجتماعية.

على أنه - يبدو اليوم- وبشكل تصاعدي، غياب كامل لأية مرجعية لعلم القيم (Axiologie) بمفهومه الفلسفي الذي يشمل البحث في قيم الأخلاق والدين وعلم الجمال، والتي تحدد بصفة عامة طبيعة السلوك الاجتماعي في هذا الجانب، وخصوصا عند الشباب، حيث تبدو القضية أكثر حساسية، إلى درجة يبدو معها أنهم قد انقطعوا عن قيمهم، نتيجة الغزو الثقافى بمختلف أنواعه واستراتيجيته التي تفرض نموذجاً للسلوك الاجتماعي المرتبط بإيديولوجيا أو نظريات لا علاقة لها بالمجتمع.

وهذا يفرض بالضرورة - في إطار البحوث التربوية- إيجاد محاور للتفكير، أو العمل، من شأنها إعادة دينامية القيم الإيجابية. وذلك ضمن تصورات بيداغوجية يمكنها أن تؤثر إيجابيا في التصرفات اليومية للشباب، أملا في تحقيق إطار أخلاقي، اجتماعي يأخذ بعين الاعتبار رغبات الشباب وتطلعاتهم المستقبلية. كما يفرض بالضرورة بلورة وسائل بيداغوجية قادرة على الرفع من فعالية النظام التربوي، الذي يعكس الحقائق السوسيو-ثقافية للمجتمع. وفي نفس الوقت، الخطوط المستقبلية التي تحدد اتجاهات مطامح التطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي للمجتمع.

1 - إدماج القيم في المنظومة التربوية

يقوم كل نموذج تربوي على أساس من القيم يستمدّها من المجتمع من خلال النموذج السوسيو-ثقافي الملائم، إذ يسعى كل منها أن يكسب المتعلمين مواقف وتوجهات تتفق والقيم التي يقوم عليها المجتمع. ومن هذه النماذج التربوية نجد النموذج العقلاني، والنموذج التقني النسقي، والنموذج الإنساني، التربوي، والنموذج الديالكتيكي، ثم النموذج التربوي الابتكاري.

• يسعى النموذج التربوي العقلاني إلى دمج الفرد في المجتمع، وجعله يتعرف ويتقبل ويحافظ على التقاليد الاجتماعية المتمثلة في المسيرة والامتثال والنظام والضببط الذاتي، وتتمية المعايير الثقافية والقيمية التي تأخذ بها الأغلبية.

• ويهتم النموذج التقني-النسقي، القائم على المقاربة النسقية، بالبعد التكنولوجي في التربية. وهو مثقل بقيم المجتمع الصناعي، منها: الحياء والامتناع عن النقد، والفعالية، والضببط والاقتصاد، والحفاظ على الثبات والاستقرار الاجتماعيين...

• ويقوم النموذج الإنساني التربوي على أساس تركز الفعل التربوي حول الشخص/الذات ويسعى إلى غرس القيم والمواقف الآتية: الإبداعية والتعبير عن الذات والتواصل والمحبة والمرح والاختيار الحر لطريقة الحياة، واحترام الآخر، والثقة في النفس.

• ويتبنى النموذج التربوي الديالكتيكي فكرة التسيير الذاتي، ويتبنى قيما مثل: الحرية كوعي بالضرورة، والتشارك والتعاون، والوعي بالواجب الاجتماعي، واعتبار العواطف الإنسانية والاحترام المتبادل.

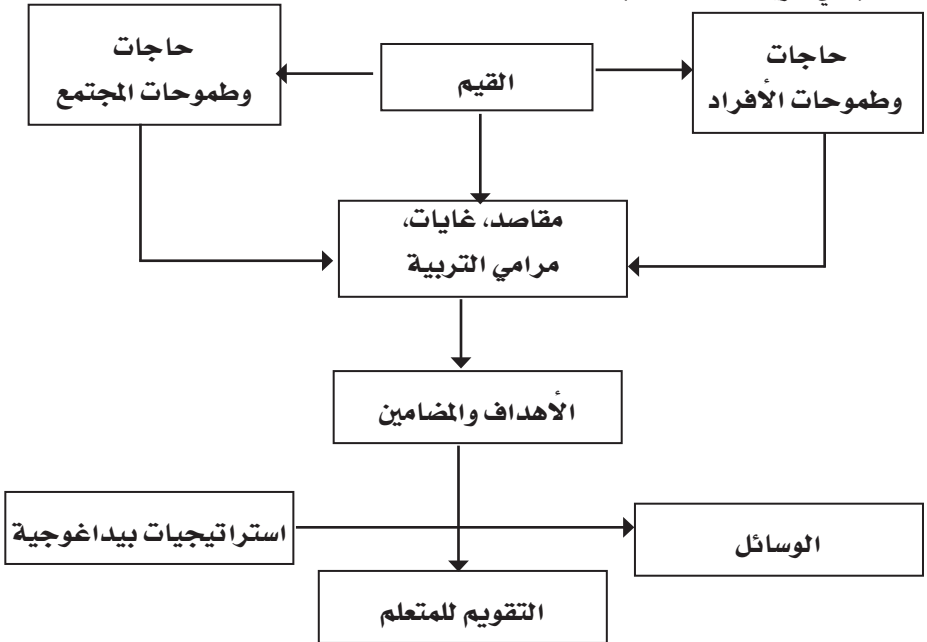
• ويقوم النموذج التربوي الابتكاري على مبدأ الوحدة الجوهرية والحيوية بين الشخص والجماعة والكون. ويولي أهمية لغرس القيم الآتية: تقدير الحياة، وتوحيد الأشخاص والتجمعات في الحياة والعمل، والبحث عن معنى الحياة والمحبة والحقيقة والجمال والعدالة والحرية والمساواة. (آيت موحى والفارابي 1992-69).

وقد توصل جاروس (JAROS) إلى أن هناك خمسة عوامل تؤثر في التوجهات القيمية للطلاب

وهي:

- محتوى المنهج وما يتضمنه من موضوعات.
- محتوى المنهج وعلاقته بأسلوب التدريس.
- إفصاح المدرسين للتلاميذ عن قيمهم في قاعات الدرس.

- إفصاح المدرسين عن قيمهم خارج قاعات الدرس.
 - مدى توحيد الطلاب مع المدرسين (حسين محيي الدين-1981).
 - وبما أن القيم تمثل موضوعاً لآليات وسيرورات الوجدانية، فإن المتعلم يمكنه أن يعبر-حسب كراتوول (Krathwohl) بالطرائق الآتية:
 - الانتباه إلى قيمة معينة والإحساس بها.
 - الميل إلى القيمة وتفضيلها واستحسانها.
 - اتخاذ موقف إيجابي من القيمة وتحويلها إلى معتقد دائم.
 - تحويل القيمة إلى مفهوم مجرد ترتبط به قيم أخرى.
 - تحويل القيم إلى تصور أو فلسفة في الحياة.
- وقد تناول لويس دينو(D'Hainaut) في صنفاته الشروط العامة التي تخضع لها المناهج التعليمية وذلك وفق المنطلقات الآتية: تعد مقاصد وغايات تربوية معينة انطلاقة من حاجات المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وكذا انطلاقة من حاجات وطموحات الأفراد.
- هذه الحاجات والطموحات تتأثر بالقيم السائدة في المجتمع وبالاختيارات الانتقائية للقيم في السياسة التربوية، ومن غايات ومقاصد ومرامي التربية، نستنبط أهداف ومحتويات التعليم التي تحدد استراتيجيات بيداغوجية ووسائل ديداكتيكية ومحتوى التقويم، والمخطط التالي يوضح كل هذا: (علي تعوينات1997-54).

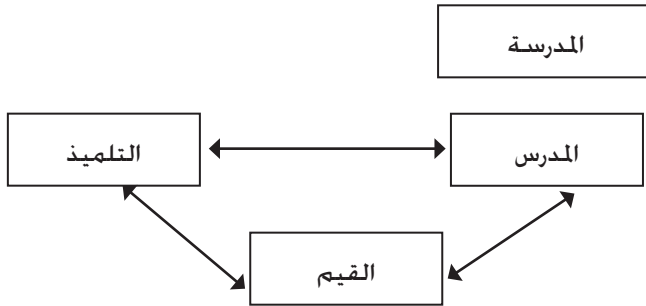


ونظرا لأهمية المدرسة في تشكيل قيم الفرد، فإن هناك عددا من المؤشرات التي يجب على القائمين بالعملية التعليمية أخذها بعين الاعتبار وهي: (آيت موحى والفاربي 1992-257)،
- **الاقتناع والممارسة**: لا بد من توافر الاقتناع والممارسة بين هيئة التدريس. فالقيم ليست ترديدات لفظية، ولكنها تستنتج من السلوك والمظهر.

- **القُدوة**: ويتطلب هذا من هيئة التدريس جهدا خاصا في أن يكون المعلم مثلا يقتدى به.
- **الإقناع**: وهو ليس مجرد أن يصل الطرف الآخر إلى تبني وجهة نظرنا بأي وسيلة، كما أنه ليس فرض رأي المعلم أو استغلال سلطته ونفوذه في التعامل مع الأطفال أو التلاميذ ليفرض عليهم وصاياته القيمة والفكرية. إنما الإقناع هو وجود ديمقراطية مهمتها توجيه الأفراد لإدراك الموقف بالصورة التي تجعلهم يشعرون بالحاجة للتغيير نحو القيم الإيجابية.
- **المتابعة والاستمرار**: فالتطوير القيمي عملية تتطلب وقتا وجدية ولا تتم عن طريق الحماس والانفعال الوقتي، بل تتطلب متابعة التلميذ في سلوكه ومراقبة تصرفاته واستمرار توجيهه.

1-1- المناهج الدراسية

ينبغي للمدرسة في تعاملها مع القيم أن تتدرج هذه الأخيرة في محتويات التدريس وطرقه وتقنياته وأشكال تنظيم مواقف التعلم التي يخضع لها التلميذ قصد بلوغ الأهداف المرسومة لتلك القيم على المستوى المعرفي أو الانفعالي أو الحسي- حركي. وذلك في إطار تواصل ينتظم سلسلة من المواقف تكون في النهاية جملة من السلوك الذي يتعلمه التلميذ ويبلغه المدرس، ضمن الإطار التواصلية الذي تحدده الترسيمة الآتية:



وينبغي للمناهج أن ترتبط بالمحيط الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، ولا تقتصر على إعطاء التلاميذ مجموعة من المهارات والمعلومات، وإنما تشبعهم بالإضافة إلى ذلك بقيم الوطنية والديمقراطية وحقوق الإنسان، وتتم لديهم الإحساس بالمسؤولية، وحب العمل الجماعي، وقبول الاختلاف، والتعايش مع الآخر وتغذيتهم بقيم التسامح وبند العنف والإقصاء، والاعتدال وعدم التطرف، وأخذ المعرفة على أساس النسبية، وتعود التلاميذ على المناقشة والتحليل، واستعمال الفكر،

والاحتكام إلى العقل في الاستنتاج، والتمرس بالتعبير عن الرأي في إطار الحوار المنتج، وتحفيزهم على الابتكار والمبادرة الشخصية، وتأهيلهم لولوج عالم المعرفة من أوسع أبوابها والانفتاح على القيم الإنسانية الكونية (العلمي161)،

تلك هي مجمل المبادئ التي ينبغي للمناهج الدراسية أن تعتمد عليها لترسيخ منظومة القيم في سلوك المتعلمين. وقد اتضح هذا التوجه من خلال الانفتاح الذي نهجته المنظومة التربوية وبالخصوص في تبنيتها - في مناهجها التربوية- منظومة القيم التي رسمتها المنظمات والهيئات الدولية، ولاسيما في ما يتعلق بقيمة ثقافية أساسية وهي قيمة حقوق الإنسان.

من كتاب بيداغوجيا القيم
أسسها ومكوناتها ومرجعيتها الأساسية

الذي سيصدر قريبا عن

منشورات صدى التضامن